دراسة مُقارنة للتحذير من الاعتداء على المقبرة في نقوش المقابر في كل من مصر الفرعونية والجزيرة العربية قبل الإسلام*

تعرب صيغ التحذير من الاعتداء على المقبرة لدى كل من الشعبين المصري القديم والعربي القديم عن المعايير الأخلاقية والقيم ودوافع السلوك عند كل منهما ، ففي مصر الفرعونية انصبت صيغ تهديد صاحب المقبرة للمعتدي على مقبرته على النواحي المعنوية ، منها ما يتصل بالحياة الدُنيا مثل تهديد المُعتدي بأن صاحب المقبرة سيقبض عليه ، كما يقبض الطائر الجارح على فريسته ، أو بأن الفرعون سوف يغضب عليه ، ولن يسمح بدفنه ، أو تحذيره بأن أولاده لن يذكروه بعد موته . ومنها ما يتصل بالحياة الأخرى ، وهى الغالبة مثل محاكمته أمام الإله العظيم ، ومثل حرمانه من قبول الآلهة للقرابين التي ستُقدَمْ لروحه بعد موته ، وعدم وقوف آلهة الموتى إلى جانبه (أثناء محاكمته في الحياة الأخرى) .

وفي سبيل اكتساب تعاطف الأحياء معه ، واستدرار الجانب الخيّر فيمن يحاول الاعتداء على مقبرته كان صاحب المقبرة يلجأ إلى تذكيره بالقيم والمُثُلْ العُليا التي كان المصري يتمسك بها ، فهو يذكر خصاله الحميدة (خصال صاحب المقبرة) وسلوكه القويم في الحياة الدُنيا ، فيقول أنه كان لا ينطق إلا ما هو مقبول عند الناس ، وأنه لم يرتكب خطيئة النميمة ، وأنه شيَّدَ هذه المقبرة من ماله الخاص في منطقة خالية من المقابر ، أي أنه لم يغتصب مقبرة غيره ، وأنه كان رحيماً بالفقراء والمحتاجين .

أما في الجزيرة العربية فإن التحذير من الاعتداء على المقبرة يأخذ في أغلبه الطابع المادي ، فيحذر صاحب المقبرة المُعتدي بأنه ستُوقعْ عليه غرامه مالية ، بلغ مقدارها في أغلب صيغ التحذير ألف قطعة عُملة نبطيَّة ، تُدفعْ لمعبد الإله " دوشارا " ومثلها للملك النَبَطي الحاكم ، بالإضافة إلى استنزال لعنات الآلهة على المُعتدي (في حياته الدُنيا) مثل " دوشارا " و " منـاة " و " الـلات " و " هُبلْ " وغيرها من آلهة الأنباط .

وفيما يلي عرض لصيغ هذه التحذيرات ، كما وردت في نقوش المقابر عند كل من الشعبين المصري القديم والعربي القديم .

في نقوش مقابر مصر الفرعونية

تطورت هذه التحذيرات طوال العصر الفرعوني ، ففي عصر الدولة القديمة كثُرَ هذا التحذير في المقابر بدرجة فاقت انتشاره في عصر الدولتين الوسطى والحديثة . وكانت صيغة التحذير في مقابر الدولة القديمة تشتمل على مقطعين :-

المقطع الأول : يشتمل على التحذير من الاعتداء ، وقد وردت هذه الصيغة شبه كاملة في نقوش مقبرة " حرخوف " في أسوان (أواخر الأسرة السادسة حوالي ٢٢٠٠ ق.م) كما يلي :

* أ.د. عبد المنعم عبد الحليم سيد أستاذ التاريخ القديم والآثار غير المتفرغ ــ كلية الآداب ــ جامعة الإسكندرية .

القـــراءة : إر / س / ن ب / ع ق .ف / ر / إس [1]/ پ ن / م / ع ب و .
فلترجمة : إذا أي رجل دخل إلى القبر هذا كـــأملاكه الجنازية .

المقطع الثاني: يشتمل على نوع العقاب الذي يتعرض له المُعتدي نظير اعتدائه وهو إما عقاب مـلدي كما يلي :

القراءة : إو .(إ)/ ر/إ ث ت . ف/م ي/ أ پ د
الترجمة : سوف أقبض عليه مثل طائر جارح

أو عقاب معنوي كما يلي :

القراءة : إيو .ف/ ر / وچ ع /ح ر .س/ إن /ن ث ر/ ع ا
الترجمة : سوف يُحاكم عنها(الجريمة) بواسطة الإله العظيم .

(Urk I, 122-123 & Breasted, 1988, I, § 328)

من هذا يتضح أن العقوبات التي تنتظر المُعتدي على المقبرة نوعان : إحداهما عقوبة مادية، وهي تهديد صاحب المقبرة للمعتدي بأنه سيُقبَض عليه مثل طائر جارح ، وربمـــا اختـــار صـــاحب المقبرة تشبيه قبضته على المُعتدي بقبضة الطائر الجارح ؛ لما يتميز به الطائر الجارح مـــن مُفاجـــأة فريسته وسُرعة الانقضاض عليها قبل أن تتنبه لتحليقه فوقها ، ثم شدّة تشبثه بها بين مخالبه لدرجـــة يستحيل إفلاتها منها .

أما العقوبة الأخرى فهي عقوبة معنوية أخروية ، وهي مُحاكمة المعتدي أمام الإله العظيـم ، وهو الإله أوزير إله العالم الآخر . وقد تكررت هذه الصيغة أو بعضها مع بعض الاختلافات القليلـــة في مقابر الدولة القديمة . وأكثر الصيغ اختلافاً عن الصيغة المذكورة وردت في نقوش مقبرة " بـــح-نو-كا " (الأسرة الخامسة)

القراءة : إر / ر م ت [2]/ ن ب/ إرت .س ن/ خ ت/ چو/ ر.ف
الترجمة : بالنسبة لكل الأشخاص الذين يعملون شيئاً ضاراً له (القبر) (رجالاً ونساء)

---

[1] فضلنا كتابة قراءة (نطق) الكلمات المكتوبة بالهيروغليفية transliteration بالحروف العربية ؛ لكي يتمكـــن القـــارئ الكريم من مُتابعة هذه القراءة مع كل من النص والترجمة العربية ، ولو أن هذه الطريقة مُخالفة لِما درج عليـــه عُلمـــاء المصريات العرب الذين يتبعون طريقة العُلماء الأجانب في استخدام الحروف اللاتينية في هذه القراءة . وكان المرحـــوم الدكتور عبد المُحسن بكير رائداً في مجال استخدام الحروف العربية في قراءة الكلمات المكتوبة بالهيروغليفية في كتابه " قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي ، القاهرة ، ١٩٥٤ " غير أن هذا الاتجاه لم يستمر بعده . هذا ويُلاحـــظ أننـــا استخدمنا شرطة مائلة في الفصل بين قراءات الكلمات وذلك لتيسير فهم النص إذا حدث تقارب بين هذه الكلمات أثنـــاء النسخ أو الطبع .

[2] يُلاحظ أن كلمة " ر م ت " غير موجودة في النقش ولكن مُخصصها الذي رسم بشكلي رجل وامرأة يدل عليها.

ويلي ذلك المقطع الثاني من صيغة التهديد المذكور سابقاً .

وأخيراً بالنسبة لمقابر الدولة القديمة ، ففيما يلي أسماء أصحاب المقابر التي وردت بها أكثر صيغ التحذير وضوحاً مرتبة حسب ورودها في Urk I :-

س ا-پ ر / م ن ي 23 / ن ك-ع ن خ 30/ ح ن و 35/پ ح و-ك 491/ ح ت ب-ح ر- أ خ ت 50/ س ن ف ر و- ن ف ر 58/ إ ن ت ي 70/ س ن ت ح-وا 72/د ن-ون 73/ إ ت ت ي 90/ إ ب ي 42 .

ويتراوح عصور هذه المقابر ما بين الأسرة الرابعة والأسرة السادسة ، وتتوزع مناطقها ما بين الجيزة وسقارة ودشاشة ودير الجبراوي . ولم يكتف أغلب أصحاب هذه المقابر بالتحذير من الاعتداء والتهديد بالعقاب ، ولكن لجأوا إلى أسلوب أكثر ليونة وهدوءاً ، وهو محاولة كسب عطف الناس بإعلانه أنه شيد المقبرة من أملاكه الحقيقية ، ولم يغتصب شيئاً من أي شخص (من أجل بناء مقبرته) كما ورد في نقوش مقبرة " ح ت ب-ح ر- آخ ت " (من الأسرة الخامسة ٢٤٧٧-٢٣٢٨ ق.م) الذي يقول في هذا الصدد .

إ ر.ن (!)/ إس/پ و / م / إ ش ت / م ا ع/ ن /س پ/إ ث ي.(!)/خ ت/ن ت / ر(م)ت / ن ب
لقد عملت هذا القبر من ملكي الحقيقي ولم يحدث أن اغتصبت شيئاً خاصاً بأي أناس .
(Urk I, 50; Breasted, 1988, § 252)

بل إن نفس الشخص يحدد في نفس النقش الشيء الذي لم يغتصبه من أي أناس ، وهو اغتصاب مقبرة غيره ، فيقول أنه شيد مقبرته في مكان خال من المقابر كما يلي :

إ ر.ن.(!)/ إس/پ و/ح ر/ج س/ن/ إ م ن ت / م / س ت/و ع ب ت/ن ن/و ن ت/ إس/ إم
لقد عملتُ هذا القبر في الجانب الغربي في مكان خال (حرفياً :طاهر) ولم يوجد قبر (آخر) هناك

/ ن / ر(م)ت/ ن ب
خاص بأي أناس[٣](Urk , I , 50 ; Breasted , 1988 , § 253)

ولا يقتصر محاولة صاحب المقبرة استدرار عطف الناس بإنكار اغتصابه لمقبرة غيره ، وأنه شيد مقبرته من ملكه الخاص (أو كما نقول : "من حُر ماله") ، بل تعداه إلى الإعلان عن أخلاقه القويمة وسلوكه الحميد إزاء مجتمعه وإزاء أسرته . فبالنسبة لأخلاقه القويمة وسلوكه الحميد إزاء مجتمعه يقول (كما ورد في نقش مقبرة حرخوف)

[٣] يُلاحظ أن مُخصص كلمة ر(م)ت رُسِمَ بشكل رجل وامرأة ، مما يُرجحُ أن الكلمة تتضمن الإشارة إلى الرجال والنساء ، ولذلك فالأفضل ترجمتها بالجمع أي " أناس " أو أشخاص .

ا ن ك/چ د /ن ف ر/و ح م/م ر ر ت / ن /س/پ/چ د .(إ)/خ ت/ن ب/چ و/ ن
إنني أقول الطيب وأردد(أقول)المحبوب ولم يحدث أن تفوهت بأي شئ شرير لدى

(ربما يقصد النميمة)

س خ م / إر.ف/ ر / س ا و / ن ب
الحاكم ضد أي رجال .

(حرفياً : شخص قوي) (حرفياً : ليعمل ضد)

م ر .ن (إ)/ ن ف ر / خر/ن ث ر/ ع ا
إنني أحب أن أكون طيباً عند الإله العظيم

(Urk, I, 122-123; Breasted, I, 1988, § 331)

ويستطرد في إعلانه عن أخلاقه القويمة وسلوكه الحميد إزاء مجتمعه ، فيقول "حرخوف" أيضاً:

إو/ ردي . ن (إ) / ت / ن / ح ق ر(و) / ح ب س / ن / ح ا ي (و)
لقد أعطيت الخبز لـ الجائع والرداء لـ العاري

أما عن إعلانه عن أخلاقه القويمة وسلوكه الحميد إزاء أسرته ، فيقول (حرخوف أيضاً) :

إ ن ك/إ ق ر /م ر ي/ ن / إ ت . إ / ح س ي / ن /م و ت .ف
إنني (شخص) مُمتاز محبوب من والدي وممدوح من أمـــه

م ر ر و /س ن و .ف /ن ب
ومحبوب من كل اخوتـــه . (Ibid.,)

وبعد عصر الدولة القديمة ، وفي عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة اختفى التهديد بمُحاكمة المُعتدي أمام الإله العظيم أي الإله أوزير ؛ ربما لأن المتوفى ابتداء من هذا العصر وما بعده (عصر الدولة الوسطى) أخذ يُشبّه بالإله أوزير ، بل ويحمل اسم أوزير قرين اسمه ، فهو بذلك صار أوزير نفسه .

ولكن ظهر نوع آخر من التهديد أغلبه دنيوي الطابع أو مُتصل بالطقوس الجنازية ، ويمثل هذا الاتجاه نقش في مقبرة " ت ف-إ ي ب " أمير أسيوط في عهد الملك الإهناسي "مريكارع" (حوالي ٢٠٧٠ ق.م) كما يلي :

إر/س ب ى[٤]ن ب/س ب ي ت .ف/ ... ح ن ع/ ن ت ت/م .ف[٥]/ ح چ ت/ س ش .ن.ف
إذا أي عدو يعتدي (على هذا القبر) مع الذي بداخله (أو) يمحو نقوشه

س س[٦] ت .ف/ غ ن ت ي/ س ا و /ن ن /س خ ا .ف /خ ر/ ت پ-ت ا/
(أو) يدمر تمثالاً (به) فالأبناء لن يذكرونه على الأرض[٧]

ن ن/إر .ن.ف/خ رت.ف /ن ن/ق ب ح/ن.ف/م و/ن/ب ر-خ ر و/ن.ف /م/ و ا چ-ح ب
ولن تُعْمَلْ له طقوسه(الجنازية)ولن تُصب له المياه[٨]ولن (تقدم) قرابين له في عيد واچ (عيد ديني)

(Sottas, 1913, pp. 48-49)

وفي عصر الأسرة الثانية عشرة تكرر التهديد بالحرمان من القرابين ، ولكن بصيغة أخرى ظهرت فيها مشيئة الآلهة لأول مرة ، فإن صاحب المقبرة يُهدد المُعتدين بأن الآلهة لن تتقبل القرابين التي يقدمونها إليها (ربما أثناء حياتهم في المعابد أو التي تقدم إليهم في مقابرهم بعد موتهم) . ويُمثل

---

[٤] من المعروف أن البوصة المُفردة تُقرأ كالألف المكسورة ، ولكننا كتبنا قراءتها بحرف الياء حتى لا تختلط مع حرف الألف

[٥] أي يعتدي أيضا على محتويات القبر مثل موائد القرابين وغير ذلك .

[٦] س س : معناها المُباشر "يحرق" (Faulkner , 1974 , p. 245) وإذا أضيف إليها المقطع "ون" صارت تُقرأ "س س و ن " بمعنى " يُدمر " (Ibid.,) . ولكن " س س " معناها هنا أقرب إلى التدمير منه إلى الحريق .

[٧] أي أثناء حياة أبنائه وبعد موته .

[٨] المقصود مياه التطهير التي يصبها كاهن المقبرة على القرابين المُقدمة إلى روح المتوفى أثناء أداء الطقوس الجنازية .

هذا الاتجاه نقش في مقبرة " ح ب-چ فا " المشهورة في أسيوط (عصر سنوسرت الأول ١٩٧١-١٩٢٧ ق.م) كما يلي :

إر /ر(م)ت/ ن ب ت/ إرت.س ن/خ ت/چ و /م/ إس /ب ن/ح چ ت .س ن/س ش.ف

إذا أي أناس عملوا شيئاً سيئاً في القبر هذا (أو) محوا نقوشه

س س ت.س ن/ن/غ ن ت ي.ف/خ ر.س ن/ن/(س)ن چ/ ن ن/س ش ب/ن ث رو.س ن/ت/ح چ/ د ي و/ن .س (ن)

(أو) دمروا تماثيله (فسوف) يسقطون من الرعب ولن تتقبل آلهتهم خبزهم الأبيض.[٩] المقدم لهم

وإذا انتقلنا لعصر الدولة الحديثة نجد صيغة التحذير تتغير تغيراً جوهرياً ، إذ يظهر تأثير شخصية الفرعون في عبارات التهديد ؛ وربما يرجع ذلك إلى أن الفراعنة في ذلك العصر اقتربوا من رعاياهم نتيجة قيادتهم للجيوش بأنفسهم ، مما جعلهم يقتربون كثيراً من رعاياهم الضباط والجنود الذين يحاربون تحت قيادتهم المُباشرة ، فضلاً عن أن الانتصارات الباهرة لهؤلاء الفراعنة في حروبهم وتكوينهم إمبراطورية واسعة غرست إعجاب رعاياهم الشديد بشجاعتهم ، فتمتع الفراعنة في ذلك العصر بمحبة رعاياهم الشديدة ، فانطبعت شخصيتهم في نقوش مقابر أتباعهم من وزراء وضباط وكبار موظفين وحكام أقاليم ، فاستعانوا بشخصية فراعنتهم في حماية مقابرهم ، ويمثل هذا الاتجاه نقش في مقبرة " سن- -موت " (ما بين عامي ١٤٩٠-١٤٦٢ ق.م) الذي اشتهر بأعماله المعمارية في عصر حتشبسوت ، ولكنه كما يبدو من ألقابه عاصر الفرعون الذي سبقها في الحكم (سليم حسن ، ١٩٤٨ ، جـ٤ ، ص ٣٧٢) .

إر /س /ن ب/ودت .ف/ن ك ن / ر/ س ع ح.!ن ن/ن س و/ش م س.ف/ن/ر ك .ف

إذا أي رجل يرتكب ضرراً ضد مومياتي[١٠] لن يتبع الملك[١١] طول عمره .

---

[٩] الخبز الأبيض هو أفضل ما يُقدم من القرابين للروح المادية (الكا) الخاصة بالمتوفى .

[١٠] واضح أن كلمة المومياء تشير ضمناً إلى المقبرة ؛ لأن من المُستحيل أن يصل المُعتدي إلى المومياء إلا إذا فتح المقبرة .

ن ن/ق ر س .ت و .ف/ح ر/س (م) ي ت/! م ن ت ت/ن ن/خ ب ر/ع ح ع .ف/ت ب-ت ا
ولن يدفن في الجبانة الغربية[١٢] ولن يستمر عمره على الأرض (حرفياً : لن يعمر طويلاً)
(Urk, IV, 401-402 & Sottas, 1913, p. 54)

وفي عصر الأسرة التاسعة عشرة (١٢٩٦-١١٩٠ ق.م) ظهرت صيغة تحذير جديدة ارتبطت بفكرة مُحاكمة المتوفى بعد الموت أمام محكمة أوزير الأخروية التي تحولت في عصر الدولة الحديثة إلى فصل كامل في كتاب الموتى ، هو الفصل ١٢٥ ، وصورت مناظرها كاملة على جدران مقابر الأشراف وعلى البرديات ، وظهر فيها الدور الكبير للإلهين تحوت الذي صوِّرَ وهو يسجل نتيجة محاكمة المتوفى ، والإلهة ماعت التي كان رمزها (الذي يمثل "الصدق") يوضع في إحدى كفتي الميزان الذي يُوضع في كفته الأخرى قلب المتوفى لقياس ما بداخله من صدق .

وتعبر عن ذلك صيغة التحذير التي نُقشت على مصراع باب انتزع من إحدى المقابر[١٣] كما يلي :

إ ر/ر (م)ت/ن ب/ن ت ي/أو.س ن /ر /م ن م ن /م /و چ/ پ ن/ ح ن ع/ إ س ي/
إذا أي أشخاص الذين يزمعون التخريب في الشاهد هذا و المقبرة

(حرفياً: يكونون نحو) (مصراع الباب المدون عليه النقش)

إ ر .ن(.!)/ ن/ع ح ع.ف/ م-ب ا ح/ چ ح و ت ي/ ن/ و چ ع/ س(ن) (ن)/ م ا ع ت
(التي) شيَّدتُ لن يقفوا (حرفياً : يقف) أمام الإله جحوتي ولن يحاكموا بواسطة الإلهة ماعت

[١١] أي لن يكون المُعتدي من أصفياء الفرعون أو المُقربين إليه ، نتيجة غضب الفرعون عليه لاعتدائه على المقبرة .

[١٢] واضح أن تهديد صاحب المقبرة للمُعتدي على مقبرته بعدم دفنه في الجبانة الغربية بعد موته ، هو نتيجة غضب الفرعون عليه.والجبانة الغربية المقصودة هي جبانة القُرنة أو الشيخ عبد القرنة التي بها مقبرة "سنموت " وغيرها من مقابر الأشراف . ويبدو من هذا التهديد أن بناء المقابر في هذه الجبانة والدفن كان لا يتم إلا بتصريح من الفرعون الذي كان يعطيه لأصفيائه والمُخلصين له الذين لا يرتكبون الأعمال العدوانية مثل اغتصاب المقابر .

[١٣] غير معروف مكان هذه المقبرة التي أنتزع مصراع هذا الباب منها ، وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر (Sottas, 1913, p. 55)

(حرفياً: عَمِلتْ) (Ibid.,)

ويتضح من هذا النقش أن صاحب المقبرة يهدد المُعتدين بحرمانهم من المثول أمام محكمة العالم الآخر التي كانت بمثابة بوابة العبور إلى جنة العالم الآخر .

وبعد عصر الأسرة التاسعة عشرة اختفت صيغ التحذير من الاعتداء على المقبرة من نقوش مقابر الأفراد ، ولو أنه ظهرت صيغ تحذير أخرى منذ أواخر عصر الدولة الحديثة ، ثم انتشرت انتشاراً واسعاً خلال العصر المُتأخر (الأسرات من الحادية والعشرين إلى السادسة والعشرين) . وكانت تسجل على لوحات الهبات التي يُقدمها الفراعنة والأفراد لمعابد الآلهة من أراضي ومنتجات وغيرها . وكانت صيغة التحذير تهدد المُعتدي على هذه الهبات أو على اللوحات المُسجلة عليها بأضرار دنيوية وأخروية تُصيبه ، وتصيب زوجته وأولاده .
(Sottas, 1913,p.171)

من هذا العرض الشامل لصيغ التحذير من الاعتداء على المقبرة في مُختلف عصور تاريخ مصر الفرعونية ، يتبين أن جميعها موجهة من أفراد ومنقوشة على مقابرهم . ولم يُعثر على نقش واحد في مقبرة أحد الفراعنة به صيغة تحذير ضد الاعتداء على مقبرته ، وهذا يدحض ما يتردد في مؤلفات بعض الكتاب غير المُتخصصين في الآثار المصرية القديمة من أن مقبرة " توت-عنخ-آمون " كان على مدخلها أو على أحد الأواني أو التماثيل الصغيرة بها نقش يحذر من الاعتداء على هذه المقبرة ، إذ لم يرد في سجلات مُكتشفي المقبرة أي إشارة إلى مثل هذا النقش ، أو أي تحذير من أي نوع . (Romer, 1981,pp.245-276)

<u>في نقوش مقابر الجزيرة العربية</u>

أكثر التحذيرات من الاعتداء على المقبرة في الجزيرة العربية وردت على واجهات المقابر النبطية في مداين صالح (المذكورة في القرآن الكريم باسم "الحجر") بالمملكة العربية السعودية . وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن واجهات هذه المقابر منحوتة في الصخر ، وقد نحتت في أعلى مداخلها هذه التحذيرات ضمن صيغة تثبت ملكية صاحب المقبرة لمقبرته . لذلك بقيت حتى اليوم ، بينما كانت المقابر في المناطق الأخرى من الجزيرة العربية وخاصة في اليمن تُشيَّدْ إما بالحجارة مثل مقابر بعض مكارب اليمن المجاورة للمعبد المُسمى " محرم بلقيس" في مدينة مأرب أو مقابر المنطقة المُسماة "حيد بن عقيل " ، حيث توجد جبانة مدينة " تمنع " (هجر كحلان الحالية) عاصمة دولة قتبان، أو تُشيَّدْ بمواد أقل صلابة من الحجر ، فتلاشت واندثرت .

والأنباط شعب عربي الأصل ، ربما كان موطنه الأصلي في الحجاز أو نجد أوكليهما ، وقد نزح هذا الشعب من موطنه إلى منطقة البتراء الواقعة إلى الشمال الشرقي من خليج العقبة بحوالي ١٤٠ كيلو متراً ؛ ليكون قريباً من بلاد الشام ، حيث توجد أسواق تجارة البخور ومواد الترف الثمينة، وحيث يمر الطريق التجاري العظيم الذي تسلكه هذه التجارة من جنوب الجزيرة العربية إلى أسواق الشام . ولذلك تخلى الأنباط عن لغتهم العربية الأصلية التي كانت في الغالب اللغة أو اللهجة الثمودية، وهي لهجة عربية شمالية ، تنتمي إلى اللغة العربية الشمالية التي تنتمي إليها لغتنا العربية الفصحى.